INDONESIAN JOURNAL
of Islamic literature and Muslim Society
vol. 2, no. 1, January-June 2017, ISSN: 2528-1194 (p); 2528-1224

AL-TAWĀṢUL AL-FIKRĪ BAINA AL-ḤAḌĀRAH AL-ISLĀMIYYAH WA AL-ḤAḌĀRAH AL-IGRĪQIYYAH

Isa Abdullah Ali
Qatar University
Email: ishaabdullah67@gmail.com

Abstract

This article aims to describe how early Islamic civilization was formed, which later became the foundation for later Islamic civilization. This paper with a historical approach tries to explain about the intellectual communication between the early Islamic civilization with the Greek civilization. This paper found that communication between Islamic civilization with Greek civilization started from the interaction process of Islamic scholars with Greek works through the process of massive translation during the Caliph Al-Mamun. The results of this translation have implications on the philosophy and theology of Islam proposed by early Islamic scholars and philosophers. Although the philosophical and theological thinking they constructed was a Hellenistic, they blended on the principles of Islamic teachings, making it a distinctive philosophy and theology of Islam. From this, it was born Islamic civilization built on the foundation of faith and science in a balanced way, which is different from the Greek civilization which is not based on faith. Intellectual communication between Islamic civilization with this Greek civilization which later gave birth to the European Renaissance.

Keywords: *Islamic civilization, Greek civilization, intellectual communication, translation of Greek works.*

Abstrak

Artikel ini bertujuan untuk mendeskripsikan bagaimana peradaban Islam awal terbentuk, yang kemudian menjadi pondasi bagi peradaban Islam setelahnya. Tulisan ini dengan pendekatan sejarah mencoba menjelaskan tentang komunikasi intelektual antara peradaban awal Islam dengan peradaban Yunani. Tulisan ini

menemukan bahwa komunikasi antar peradaban Islam dengan peradaban Yunani dimulai dari proses interaksi ulama Islam dengan karya-karya Yunani melalui proses penerjemahan besar-besaran pada masa Khalifah al-Makmun. Hasil dari penerjemahan ini berimplikasi pada filsafat dan teologi Islam yang dikemukakan para pemikir dan filosof Islam awal. Walaupun pemikiran filsafat dan teologi yang mereka bangun bercorak hellenistik, tetapi mereka meramunya berdasarkan prinsip-prinsip ajaran Islam, sehingga menjadi filsafat dan teologi yang khas Islam. Dari sini lahirlah peradaban Islam yang dibangun di atas fondasi keimanan dan keilmuan secara seimbang, yang berbeda dengan peradaban Yunani yang tidak berbasis keimanan. Komunikasi intelektual antara peradaban Islam dengan peradaban Yunani inilah yang kemudian melahirkan Renaissans Eropa.

Kata Kunci: peradaban Islam, peradaban Yunani, komunikasi intelektual, penerjemahan karya-karya Yunani

ا. مقدمة الدراسة

مثلت الحضارات السابقة على الإسلام أحد العوامل الهامة في تشكيل المنجزات الفكرية للحضارة الإسلامية ، فمع توسع الدولة الإسلامية الجغرافي والسياسي ، أصبحت هناك شعوب غير عربية ذات حضارات سابقة مغرقة في عراقتها وتجربتها محكومة بواسطة المسلمين، واعتنق بعضهم الإسلام دون أن ينفصل – بكل تأكيد – عن تراثه الحضاري السابق بالكامل ، هذا التداخل الإنساني الجديد بين المسلمين العرب وغيرهم من مسلمي القوميات الأخرى، وحتى التعامل مع غير المسلمين، إلى طرح العديد من التساؤلات العقائدية والفلسفية التي دفعت المفكرين المسلمين للبحث عن إجاباتها ، سواء في الكتاب أوالسنة، أو من خلال مناهج أخرى لا تتعارض من ناحية الجوهر مع الأصول الإسلامية في إطار المناقشات الفكرية والثقافية التي اتسم بها واقع الحضارة الإسلامية بشكل عام. من ناحية أخرى أجبر هذا التوسع الدولة الإسلامية على ضرورة تطوير أوضاعها الإدارية والعلمية في مواجهتها للعدو البيزنطي الخارجي، وقد اعتمد العلماء المسلمون في البداية على المنجزات العلمية التي خلفتها هذه الحضارات وقاموا بتكييفها بحيث تناسب القواعد والواقع الإسلامي الجديد، وهو ما دفعهم في مرحلة لاحقة إلى أخذ زمام المبادرة في تطوير هذه العلوم القديمة، والتوصل إلى قوانين جديدة اعتمدوا فيها على أبحاثهم وتجربتهم الخاصة .

لقد كانت الحضارة الإغريقية أو اليونانية هي الأكثر تأثيراً في المفكرين المسلمين، منذ بداية العصر العباسي، حيث اتسمت المرحلة الأولى للدولة العباسية بحالة الاستقرار

السياسي التي سمحت للخليفة المأمون باتخاذ إجراءات ضخمة في ترجمة الفكر الإغريقي، وذلك في محاولته إشاعة الحكمة والعلوم القديمة في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية لتحقيق أكبر قدر من الفائدة والوعي بين المسلمين لمواجهة التيارات المعادية للإسلام من أصحاب الحضارات الأخرى ، ولقد أدت الخطوة الأخيرة إلى الانفتاح الكامل على الحضارة الإغريقية، ومع امتلاك المفكرين المسلمين لعقلية نقدية إزاء هذه النصوص في إطار حرصهم على التوفيق بينها وبين النصوص الشرعية الإسلامية ، فقد ظهرت الاتجاهات العلمية والفلسفية المتنوعة في تبنيها لمثل هذه المناهج ، وتطور الأمر أخيراً إلى بروز الآراء الفلسفية والعلمية المستقلة في الوسط الإسلامي ، ونبغ فلاسفة مسلمون كان لهم الفضل الأكبر في نقل التراث اليوناني ، كما أن هؤلاء الفلاسفة كان لهم الدور الأكبر في نقل الحضارة الإسلامية لتكون نواة الحضارة الأوربية الحديثة.

إن دراسة التواصل بين الفكر الإسلامي والحضارة الإغريقية تاريخيا يجب أن يعتمد في الأساس على تحديد بداية التأثير الإغريقي في الحضارة الإسلامية ، كما لابد من مناقشة مراحل تطوره، وأخيراً النتائج التي ترتبت على هذا التواصل المعرفي في الوسط الإسلامي، وخاصة من الناحيتين العقائدية والفلسفية، وتناقش هذه الدراسة المباحث الأربعة وهي: أثر الثقافة العربية في النهضة الأوروبية، الحضارة الإغريقية، ترجمة العلوم الإغريقية و نتائج التأثير الإغريقي وأبرز فلاسفة المسلمين.

ب. أثر الثقافة العربية في النهضة الأوروبية

قبل أن نكتب عن التواصل بين الحضارة الإسلامية وحضارة اليونان ، وما أسهمت به الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية المعاصرة ، لابد من ذكر الأثر الفعّال الذي تركه المسلمون للإنسانية من فكر وثقافة ، في العلوم والمعارف والعمران والفلسفة ، ولا غرو، فإن المسلمين قدموا للبشرية روعة العلم ، وأيضا منهج الروح، والتواصل الحضاري قضية مسلمة بها في تاريخ البشرية. إن التاريخ سلسلة من الحلقات المتصلة بعضها ببعض، وكما أن الثقافة اليونانية أو الإغريقية القديمة كان لها أثرا في الفكر الإنساني ، فإنها أيضا تأثرت بما قبلها من الفكر القديم عنها ، والحضارة الإسلامية كان لها أثر فاعل وكبير ومؤثر في الفكر الإنساني ، بعد أن تفاعلت مع الثقافات السابقة عليها ومن ضمنها الفكر الإغريقي ، فقد أخذت من

الفكر اليوناني ما يتفق مع الإسلام، ورفضت من يخالفه ، لأن الحضارة الإسلامية تميزت بأنها حضارة وحي وحضارة عقل ، فكان أن هضمت الفكر اليوناني ، وتأثرت به ، ثم أنتجت فكرا إسلاميا إنسانيا خالصا، كان له الفضل والأثر في الحضارة المعاصرة بداية من عصر النهضة الأوربية ، وذلك بعد ترجمة كتب علماء المسلمين للغات الأوربية وتقديمه للغرب ، فكانت النواة التي بدأت بعصر النهضة وما تلاها من فكر غربي سائد اليوم ، وقد شهد المنصفون من مفكري الغرب بحقيقة الأثر الفعّال للحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية برمتها، ففي بحثه عن أثر الثقافة الإسلامية في الغرب المسيحي ، يقول الكاتب ت. كولريونج (T. C. Young):

"إن الدَّين الثقافيَّ العظيم الذي ندين به للإسلام ، منذ أن كنا نحن المسيحيين، داخل هذه الألف سنة ، نُسافر إلى العواصم الإسلامية ، وإلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية ، يجب التذكيرُ به دائماً ، وفي جملة ذلك تراثنا الكلاسيكي الذي قام الإسلام على رعايته خير قيام ، حتى استطاعت أوروبا مرةً أخرى ، أن تتفهمه وترعاه ، كل هذا يجب أن يمازج الروحَ التي نتجه بها ـ نحن المسيحيين ـ نحو الإسلام ، نحمل إليه هدايانا الثقافية الروحية، فلنذهب إليه في شعور بالمساواة نؤدي إليه الدَّين القديم ، ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدّينا ما علينا بربحه ، ولكننا سنكون مسيحيين حقاً إذا نحن تناسينا شروط التبادل ، وأعطينا في حبّ واعتراف بالجميل"[1].

لقد قامت الثقافة العربية الإسلامية بدورها الطليعي خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية ، وقد نقل العلماء العرب والمسلمون التراث الإغريقي وغيره من ألوان التراث العلمي الذي تقدّم عليهم في التاريخ ، نقلوه إلى اللغة العربية ، التي كانت لغة علم وثقافة ، وأثّر العلماء العرب والمسلمون في النهضة الأوروبية ، وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية غالباً وواضحاً ومؤثّراً في عديد من المجالات العلمية والفكرية والثقافية ، مثل ابتكار نظام الترقيم والصفر والنظام العشري ، ونظرية التطور قبل "داروين" بمئات السنين ، والدورة الدموية الصغرى قبل "هارفي" بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل نيوتن بقرون متطاولة ، وقياس سرعة الضوء وتقدير زوايا الانعكاس والانكسار، وتقدير محيط الأرض ، وتحديد أبعاد الأجرام السماوية ، وابتكار الآلات الفلكية ، واكتشاف أعالي البحار، ووضع أسس علم الكيمياء ، ويمكن القول إجمالاً إن الثقافة العربية الإسلامية كانت واسطة العقد بين

[1] د.عبد العزيز بن عثمان التويجري ـ الثقافة العربية والثقافات الأخرى – بحث منشور في كتاب المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة – 1995.

العلوم والثقافات القديمة وبين النهضة الأوروبية ؛ فالفكر العربي الإسلامي، والثقافة العربية الإسلامية ، سلسلة متّصلة الحلقات ، امتدّت من الحضارات القديمة، من مصرية، وآشورية، وبابلية، وصينية ، إلى حضارة الإغريق والإسكندرية، إلى العصر الإسلامي الذي تأثّر علماؤه بمن تقدّمهم، وأثّروا بدورهم فيمن لحقهم من علماء النهضة الأوروبية ، الذين قرأوا أعمال العلماء العرب في كتبهم المترجمة إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية.

لقد حافظت الثقافة العربية الإسلامية على الثقافة اليونانية من الضياع[2]، إذ لولا المثقفون والعلماء العرب، لما وصلت إلى أيدي الناس مؤلفات يونانية كثيرة مفقودة في أصلها اليوناني ومحفوظة بالعربية ، ولقد ظلّ الغرب يشتغل على الثقافة العربية ، حتى بعد أن تقلّص ظلّها في الأندلس بجيلين أو أكثر حتى وصل إلى العصور الحديثة ، وظلت الثقافة العربية الإسلامية تستهوي الكثيرين من أبناء العالم الغربي ، إذ لم تتوقف الترجمة عن العربية في عصر النهضة وما بعد عصر النهضة ، رغم الاتصال المباشر بالعالم اليوناني والحضارة اليونانية اعتباراً من منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، عندما بدأت الكتب اليونانية تُنقل رأساً إلى اللاتينية من دون الاستعانة بالترجمات العربية ، فالثقافة العربية لها قيمتُها وشخصيتها ، فقد أنتجت الكثير مما لم تستطع الثقافة اليونانية إنتاجه في الحقول كافّة : إضافات وتعليقات وابتكارات واكتشافات عربية لم يعرفها اليونان. إن حركة النقل من الثقافة العربية الإسلامية ، التي خرجت بها أوروبا من عصورها المتوسطة المظلمة إلى عصورها الحديثة المتنورة ، لم تقتصر على "نقل" المعارف القديمة من يونانية وهندية وبابلية ومصرية ، من كتب باللغة العربية إلى اللغة اللاتينية فحسب.

إن أوروبا المسيحية قد "نقلت" أيضاً معارف عربية خالصة، كما نقلت أنماطاً من الحضارة الإسلامية ، ومن الإيمان الإسلامي إلى حياتها العامة وحياتها الخاصّة ، ولو أن الكنيسة الكاثوليكية لم تضع ثقلها إلى جانب الفِرنجة في معركة تُورَ سنة 114هـ (732م)، لعمَّت الحضارةُ الإسلامية والثقافةُ العربية الإسلامية في أوروبا منذ ذلك الزمن الباكر، ولوفَّرت الكنيسة الكاثوليكية على العالم نِزاعاً طويلاً وشقاء مريراً.

[2] نفسه

لقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في العالم الغربي، ونهل علماء أوروبا من المصادر العربية الأصلية ، ووجدوا أنها تراثٌ علميٌّ عظيمٌ ، فاشتغلوا بدراسته وتحليله ، ولقد كان العرب والمسلمون يمثّلون العلم الحديث بكل معنى الكلمة ، كانوا رواداً في المناهج العلمية الحديثة ، وقد اكتسب المثقفون والعلماء في أوروبا من الثقافة العربية الإسلامية، أكثر من مجرد المعلومات، إنهم اكتسبوا العقلية العلمية ذاتَها بكل طابعها التجريبي والاستقرائي، بحيث وجد الأوروبيون في التراث العربي الإسلامي وفي الثقافة العربية الإسلامية ضالتهم المنشودة، فعكفوا على نشره.

إن الانبهار بحجم تأثير الثقافة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية ، وفي الثقافة والعلوم الأوربيَيْن ، جعل مفكرةً عالمةً ألمانيةً تصدع بهذه الحقيقة بقولها : "إن تلك الحضارة الزاهرة التي غمرت بأشعتها أوروبا عدّة قرون ، تجعلنا نعجب أشدّ العجب ؛ إذ هي لم تكن امتداداً حضارياً لبقايا حضارات غابرة ، أو لهياكل حضارية محلية على قدر من الأهمية ، أو أخذاً لنمط حضاري موجود ، أو تقليداً يُنسج على منواله المعهود ، كما نعرف في الأقطار الأخرى مهد الحضارات في الشرق ، إن العرب بثقافتهم هم الذين أبدعوا هذه الروعة الحضارية إبداعاً"[3].

وبينما كانت أوروبا ترتع في غياهب العصور الوسطى ، كانت الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها ، لقد أسهم الإسلام كثيراً في تقدّم العلم والطب والفلسفة ، وقال (ويل ديورانت Will Durant) في كتابه "عصر الإيمان" (The Age of Faith): "إن المسلمين قد ساهموا مساهمة فعالة في كل المجالات ، وكان ابن سينا من أكبر العلماء في الطب ، والرازي أعظم الأطباء ، والبيروني أعظم الجغرافيين ، وابن الهيثم أكبر علماء البصريات، وابن جبير أشهر الكيميائيين"[4]. وكان العرب رواداً في التربية والتعليم ، وقال ديورانت في هذا الشأن أيضاً : "عندما تقدّم (روجر بيكو Roger Bacon) بنظريته في أوروبا بعد 500 عام من ابن جبير، قال إنه مَدينٌ بعلمه إلى المغاربة في إسبانيا الذين أخذوا علمهم من المسلمين في الشرق ،

[3] نفسه

[4] ويل ديورانت – موسوعة قصة الحضارة – عصر الإيمان – ترجمة محمد بدران – مكتبة الأسرة – القاهرة – 1998 ـ ص245.

وعندما ظهر النوابغ والعلماء في عصر النهضة الأوروبية ، فإن نبوغهم وتقدّمهم كانا راجعين إلى أنهم وقفوا على أكتاف العمالقة من العالم الإسلامي"[5].

وأكد (بريفولت) المؤرخ المشهور، على الفارق الكبير بين طبيعة الحضارة اليونانية التي كانت في عمومها نظرية تجريدية ، وبين أثر هذه الأخيرة على أوروبا وعلى الإنسانية عامة. يوضح ذلك فيقول: "إن ما يدين به علمنا للعرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة ، بل يدين لهم بوجوده نفسه ، فالعالم القديم ـ كما رأينا ـ لم يكن للعلم فيه وجود.. وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث في دأب وأناة ، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم، والملاحظة الدقيقة المستمرة ، والبحث التجريبي ، كل ذلك كان غريبًا تمامًا عن المزاج اليوناني ، أما ما ندعوه "العلم" فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة..، وهذه الروح وتلك المناهج أوصلها العرب إلى العالم الأوروبي..".[6].

ويؤكد (كارادفو) رأي سارتون المعظم لإسهام العرب في التطور، وهو يقر بأنهم المعلمون الكبار في العلم ، إنه يقول بأن هؤلاء المعلمين كانوا أمناء على التراث اليوناني والروماني، وأن أمانتهم تتجلى في ثلاث ظواهر بارزة : إتقانهم لجوهر هذا التراث، وتحسينه بالتصويب والتنمية، وتسليمه للعصور الحديثة[7].

وقد كان من تأثير ابن سينا وحده في الفلسفة المسيحية قول "جورج ساتون" : "إن ابن سينا ظاهرة فكرية عظيمة ، ربما لا نجد من يساويه في ذكائه أو نشاطه الإنتاجي.. إن فكر ابن سينا يمثل المثل الأعلى للفلسفة في القرون الوسطى"[8]. وكذلك يقول (دي بور) : "كان ابن سينا في الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى عظيم الشأن، واعتبر في المقام كأرسطو.."[9]. ويقول أيضًا (أوبرفيل) : "إن ابن سينا اشتهر في العصور الوسطى وتردد اسمه على كل

---

[5] نفسه

[6] دكتور راغب السرجاني – نقلا عن : بريفولت ، بناء الإنسانية ، فصول ترجمها عن هذا الكتاب إلى العربية السيد أبو النصر الحسيني تحت عنوان : أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية ، ط دار الكتب الحديثة بمصر ، سنة 1337هـ ، ص71، نقلاً عن مدخل إلى الفلسفة، ص130

[7] عمر فاروق الطباع – ابن خلدون – دار الفكر الإسلامي – بيروت – 2000 ص13.

[8] موقع إسلام أون لاين.

[9] نفسه

شفة ولسان، ولقد كانت قيمته قيمة مفكر ملأ عصره.. وكان من كبار عظماء الإنسانية على الإطلاق..".[10]. وقد كان أكبر المتأثرين بالفلسفة الإسلامية القديس توما الإكويني أكبر الفلاسفة الأوروبيين في القرن الثالث عشر؛ إذ كانت آثار الفلسفة العربية عنده أعمق وأنضج وإن كانت أخفى في الظاهر، لأنه لم يكن يذكر مصادره بشكل مباشر واضح.

وأول شئ يتجلى فيه تأثير الفلاسفة العرب المسلمين في القديس توما الإكويني هو البراهين التي أوردها لإثبات وجود الله بطريق العقل، لقد أخذ من الفارابي برهانه كما ورد في (آراء أهل المدينة الفاضلة)، وأخذ عن ابن سينا براهينه كما هي في كتابيه (النجاة والشفاء)، ومن الثابت بيقين كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي أن توما قد قرأ الفارابي وابن سينا؛ لأنه يشير إلى مؤلفاته صراحة، ويذكر كتابي ابن رشد (فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال)، و(الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة)[11].

وهذا يفضي بنا إلى التحدث عن تأثير هذا الفيلسوف العربي المسلم العظيم (ابن رشد)، وهو تأثير لا يجاريه فيه أي فيلسوف عربي آخر؛ لأننا لا نستطيع أن نتحدث مثلاً عن (فارابية) أو (سيناوية) لاتينية ، ولكننا نجد مقابل ذلك (رشدية) لاتينية قوية جدًا ، توافر لها أنصار في أوروبا وأتباع أكثر من قرنين من الزمان.

وقد بدأت حركة الرشدية اللاتينية، أي أتباع بن رشد من الأوروبيين ، منذ أن ترجم ميخائيل اسكوت شروح ابن رشد على مؤلفات أرسطو، في الفترة الواقعة بين سنة 1228 وسنة 1235م ، حينما كان فلكيًا في بلاط فريديريك الثاني في باليرمو بصقلية ، وتزعم سيجر البرابنتي (1235 1281–)م الحركة الرشدية ، ورأى فيها الحقيقة العلمية الفلسفية، واحتل مكانة سامية رفيعة في جامعة باريس ، فاستصدرت الكنيسة حكمًا بطرده من تلك الجامعة ، ولكن ذلك لم يبدل رأيه ، وعلى الرغم مما لقيته الرشدية اللاتينية من هجوم واضطهاد من جانب السلطات الكنسية في أواخر القرن الثالث عشر، فإنها استمرت تنمو وتنتشر وتكسب الأنصار طوال القرن الرابع عشر، فنجد جان دي جاندان المتوفي 1328م يخلص كل الإخلاص لمذهب ابن رشد، واستمر تأثير ابن رشد في نمو مطرد في الأوساط الفلسفية حتى

[10] نفسه

[11] راغب السرجاني – مصدر سابق

القرن السابع عشر، حتى إن روفائيل في لوحته الشهيرة (مدرسة أثينا) رسم ابن رشد واضحًا في اللوحة بعمامة بيضاء[12].

إن المذاهب الفلسفية الرئيسية، والتيارات الكبرى في الفكر الفلسفي الأوربي في القرون الثالث عشر حتى السادس عشر، تدين بوجودها وآرائها الجديدة الأصيلة للفلاسفة العرب المسلمين. ولقد كانت صرخة مدوية ومفاجأة هائلة أذهلت الناس، عندما وقف المستشرق الأسباني (أسين بلاثيوس) وهو يلقي خطاب استقباله في الأكاديمية الملكية الإسبانية في جلسة 26 كانون الثاني 1919م، لما أعلن أن دانتي في (الكوميديا الإلهية) قد تأثر بالإسلام تأثرًا عميقًا واسع المدى ، يتغلغل حتى في تفاصيل تصويره للجحيم والجنة ؛ إذ تبين للمستشرق الأسباني (أسين بلاثيوس) أن ثمة متشابهات وثيقة بين ما ورد في بعض الكتب الإسلامية عن معراج النبي صلى الله عليه وسلم وما في (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري، وبعض كتب الشيخ محي الدين بن عربي[13]. وراح (أسين بلاثيوس) يعدد نقاط التشابه والاقتباس هذه ، استنادًا إلى المصادر الإسلامية، مقارنًا إياها بما ورد في الكوميديا الإلهية، وكل ذلك بعلم غزير، ومنهج علمي دقيق. وقد قوبل هذا الرأي بهجوم شديد من الباحثين الإيطاليين الذي عز عليهم أن يُفجَعوا في عَلَمِهم الأكبر ومناط فخارهم، وقام (أسين بلاثيوس) بالرد على هؤلاء جميعًا مقنعًا مفحمًا في كتاب نشره في مدريد بعنوان (الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية) وفي ست مئة وتسع صفحات من القطع الكبير[14].

[12] نفسه

[13] نفسه

[14] نفسه ـ من خلال التواصل الإنساني الحضاري فيما بين المسلمين والإغريق ، وما بين كل الحضارات البشرية ، نجد أن كل ما يريده المفكرون والفلاسفة ، وطبعا الأديان هو النظر للإنسان وماهيته كمحور للكون ، ويعرفون الإنسان بأنه كائن حي يختلف تعريفه البيولوجي عن التعريف العقائدي أو الثقافي. فبيولوجياً، يعّرف الإنسان بالثديّ المالك لعقل متطور عن سائر المخلوقات ، وعقائدياً: فهو تلك الروح الكامنة داخل هذا الجسد وتتحكم الروح بأفعال وتصرفات الإنسان ، ومن الجانب الثقافي، يتميز الإنسان بتعدد الألسنة واللغات وتباين العادات والتقاليد بين المجتمعات المختلفة. كما يصفه البعض بصورة مجرّدة على انه حيوان ناطق، كما يتميز الإنسان بالعقل المتطور خلافاً لجميع الكائنات الحية، فيستعمل عقله في التفكير والاختيار والتعرف على المعضلات وحلها، ويتسم بصفات وخصال إنسانية تميزه عن بقية المخلوقات، منها الإيجابية : كحسن الخُلق والأمانة والسماحة والتواضع، والشجاعة والكرم. ومنها السلبية: كالقسوة والبخل والجبن والنفاق والغدر والتكبر. وقد تغيرت النظرة الفلسفية إلى الإنسان تبعا لتطور الفكر البشري. ففي الفلسفة اليونانية كان يفهم الإنسان على انه مواطن للمدينة–الدولة (أرسطو). وكان يقام حد بينه وبين الأشياء الخارجية بحيث أمكن تجريد الإنسان عن هذه المواقف الملموسة أو تلك (وخاصة في فلسفة أفلاطون، الملموسة أو تلك (وخاصة في فلسفة أفلاطون، أما من المنظور الديني : نجد المسيحية تؤكد على الانقسام الداخلي لطبيعة الإنسان (إلى روح وجسد)، وعلى أنه (صورة) الإله، رغم أنها تعتبر الجسد أصل الخطايا والآثام. أما الإسلام فيعتبر الإنسان من أكرم المخلوقات، وقد خلفه الله من اجل عبادته وليرث الأرض ويعمرها.

وما هي إلا سنوات حتى قدم الباحث الإيطالي (أنريكو أتشرولي) عام 1949م الترجمتين اللاتينية والفرنسية لكتاب عربي في (المعراج) كان قد ترجم من العربية في أوائل القرن الثالث عشر ، ومنه نسختان حاليًا في مكتبة بولدي بأكسفورد، والثانية في المكتبة الأهلية بباريس. وكان للفارابي أيضا أثره في اتجاه التفكير الأوربي، يقول (جورج سارتون) في (تاريخ العلم) : "إن الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون ، فالفارابي أعظم الفلاسفة .. "[15]، وقد نقلت كتبه إلى اللاتينية وطبعت جملة واحدة في باريس عام 1638م ، وكان من فلاسفة أوربا الذين تأثروا بفلسفة الفارابي الراهب (فنسان دو بوفيه) المتوفي 1264م، والذي ضم أجزاء من فلسفة الفارابي برمتها إلى كتابه[16].

وهذا (كاردانو) يصف الكندي أول فيلسوف عربي مسلم بقوله : " كان واحدًا من الاثنى عشر عبقريًا الذين هم من الطراز الأول في الذكاء في العالم كله"[17]. وهذا (سارتون) أشهر مؤرخي العلم ، يقول عن ابن سينا: "يعتبر ابن سينا من أعظم علماء الإسلام، ومن أشهر مشاهير العلماء العالميين"[18]. وقد استنكر الدكتور (سارتون) موقف إخوانه الغربيين الذين أرادوا أن يسلبوا عن مفكري الإسلام صفة الأصالة فيقول: "إن بعض الغربيين الذين يجربون أن يستخفوا بما أسداه الشرق إلى العمران يصرحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا إليها شيئًا ما.. هذا الرأي خطأ ".. وهو يقرر أن العرب كانوا أعظم معلمين في العالم في القرون الثلاثة، الثامن والحادي عشر والثاني عشر[19].

والعرب باعتراف (وايد مان) أكبّوا على التراث اليوناني ونظرياته ، فأدركوا جوهرها وسبروا غورها وأفادوا منها ، لكنهم لم يقفوا عند حدودها ، بل استحدثوا الجديد من النظريات واستنبطوا الكثير من الحقائق ، ولم تكن هذه المعطيات والجهود أقل شأنًا من مكتشفات فاراداي ونيوتن ورنتيجن[20]. من ذلك العرض الذي قدمناه لآراء بعض المنصفين من أبناء الغرب تجاه

---

[15] نفسه

[16] دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية ، هاني المبارك، شوقي أبو خليل، ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – 2000 – ص40 وما بعدها

[17] قدري حافظ طوقان ، تراث العرب العلمي ص27، والدكتورة فوقية محمود ، مقالات في أصالة المفكر المسلم – دار الفكر العربي – القاهرة 1987 ، ص49 وما بعدها.

[18] المصدر السابق، ص322، 324.

[19] المصدر السابق ـ ص26.

[20] عمر فاروق الطباع – ابن خلدون – مصدر سابق – ص13، 14.

الحضارة الغربية ، وبعد أن علمنا بأن التاريخ هو سلسلة الأيام والسنين المتصلة المتواصلة، وأن المسلمين حملوا مشعل الحضارة في العالم ، نكتب في المبحث الثاني عن الحضارة الإغريقية وتأثرها بما سبقها من الحضارات القديمة ، ثم كيف استلم المسلمون راية النور بعد ترجمة كتب اليونان ثم الإضافة إليها .

الحضارة الإغريقية

كما ذكرنا فإن التواصل البشري يأخذ فيه اللاحق عن السابق ، ويضيف إليه ويميزه عن غيره ، فلابد لأي حضارة أن تستفيد – ولاسيما في انطلاقتها الأولى – من إنجازات الحضارات السابقة ، ويمكن لها أن تتجاوزها بعد ذلك[أ] فالتراكم الحضاري هو الذخيرة، والرصيد الذي تنهل منه كل الحضارات. وقد أخذت الحضارة الإغريقية أو اليونانية عن الحضارات السابقة عليها، ثم أضافت إليها، ونكتب عن تقسيم الفلسفة اليونانية زمنيا قبل الكتابة عن أثر الحضارات السابقة عليها ، لأن هذا يفيد الباحث في البحث عن التأثير الفعلي على الحضارة اليونانية ، وتقسيم الفلسفة اليونانية القديمة بصورة عامة إلى مرحلتين[21].

المرحلة الأولى: وهي مرحلة ما قبل العقل ، أو ما قبل سقراط التي اتسمت برفضها للتحليلات الميثولوجية التقليدية للظواهر الطبيعية وكان نوع التساؤل في حينها (من أين أتى كل شيء ؟) ، وهل يمكن وصف الطبيعة باستعمال قوانين الرياضيات ، وكان من أشهرهم طاليس ، الذي يعتبره البعض أول فيلسوف يوناني حاول إيجاد تفسيرات طبيعية للكون والحياة ، لا علاقة لها بقوى إلهية خارقة ، فعلى سبيل المثال قال إن الزلازل ليس من صنيعة إله وإنما بسبب كون الأرض اليابسة محاطة بالمياه ، وكان أناكسيماندر أيضا من ضمن هذا الرعيل ، وكان يؤمن بالقياسات والتجربة والتحليل المنطقي للظواهر ، وكان يعتقد أن بداية كل شيء هي كينونة لا متناهية وغير قابلة للزوال وتتجدد باستمرار، ومن الفلاسفة الآخرين في هذا الجيل، بارمنيدس، ديمقراطيس، أناكسيمين ميلتوسي[22].

[21] عادل زيتون – مجلة العربي الكويتية – عدد يوليو 1987 – ببعض التصرف.

[22] محمد عابد الجابري ـ تكوين العقل العربي – دار الكتب الحديثة – القاهرة – 1999 – ص 149 ، ونلاحظ أن أفلاطون اعتبر الكا كما فهمها المصريون وعبروا عنها ، فالكا تعني عندهم الروح ، وأفلاطون اعتتبر الكا أو الروح أساس لكينونة الإنسان والمحرك الأساسي للإنسان ، وأعتقد بأن الروح يتكون من ثلاثة أجزاء متناغمة ، وهي العقل والنفس والرغبة ، وكان أفلاطون يقصد بالنفس المتطلبات العاطفية أو الشعورية ، وكان يعني بالرغبة المتطلبات الجسدية ، وأعطى أفلاطون مثالا لتوضيح وجهة نظره باستخدام عربة يقودها حصاناً فللحصان حسب أفلاطون قوتان محركتان وهما النفس والرغبة ويأتي العقل ليحفظ

المرحلة الثانية: وهي مرحلة العقل ، أو مرحلة سقراط وما بعده ، والتي تميزت باستعمال طريقة الجدل والمناقشة في الوصول إلى تعريف وتحليل وصياغة أفكار جديدة ، وكان هذا الجدل عادة ما يتم بين طرفين ، يطرح كل طرف فيهما نظريته بقبول أو رفض فكرة معينة ، وبالرغم من أن سقراط نفسه لم يكتب شيئا ملموسا ، إلا أن طريقته أثرت بشكل كبير على كتابات تلميذه أفلاطون ، ومن بعده أرسطو ، ومن وجهة نظر أفلاطون فإن هناك فرقا جوهريا بين المعرفة والإيمان فالمعرفة هي الحقيقة الخالدة أما الإيمان فهو احتمالية مؤقتة، أما أرسطو ، فقد قال إنه لمعرفة وجود شيء ما علينا معرفة سبب وجوده ووجود أو كينونة فكرة الخالق الأعظم ، وحسب أرسطو : هو فكرة التكامل والمعرفة على عكس فكرة المخلوق الباحث عن الكمال ، لقد استفاد أرسطو من نظرية سقراط القائلة إن كل شيء غرضه مفيد ، لابد وأن يكون نتيجة لفكرة تتسم بالذكاء ، واستنادا إلى هذه الفكرة استنتج أرسطو أن الحركة وإن كانت تبدو عملية لا متناهية فإن مصدرها الثبات ، وإن هذه الكينونة الثابتة هي التي حولت الثبات إلى حركة ، وهذه الكينونة الأولية هي انطباع أرسطو عن فكرة الخالق الأعظم ، أو السبب الأول الذي شرحه أرسطو[23]، ولم تكن فكرة الحديث عن الخالق الأعظم أو السبب الأول إلا نتيجة عن قراءة ما سبق من المرحلة الأولى ، وما أتي من فكر الحضارات السالفة ، حيث أن كل الشعوب عرفت الخالق أو منشئ الكون ، ولكن اختلطت هذه المعرفة بضباب الوثنية ، حتى داخل الحضارة اليونانية العقلية نفسها.

1. المؤثرات الأولى في الحضارة الإغريقية

إن حضارات الشرق الأدنى القديم كانت قد انطلقت نحو الألف الرابع قبل الميلاد ، أي قبل بزوغ الحضارة اليونانية القديمة بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، ولم تكن حضارات هذا الشرق حضارات مغلقة على نفسها ، بل امتد تأثيرها شرقًا وغربًا ، كما أن المجتمع اليوناني القديم نفسه لم يكن ، بدوره ، مجتمعًا مغلقًا على نفسه ، بل كان منفتحًا على غيره من المجتمعات

التوازن ، وهو بهذا يحدد صورة الإنسان الكامل ، في مرحلة العقل.

[23] نفسه ، ويستحسن قراءة كتاب فجر الضمير لجون برستيد ـ ترجمة الدكتور سليم حسن ، وقد طُبع الكتاب عدة مرات ، آخرها عام 1999 في مكتبة الأسرة بالقاهرة ، وجون برستيد من المستشرقين المنصفين القلائل ، وانصب اهتمامه على مصر الفرعونية ، وله أيضا كتاب " تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي".

، وبالتالي كان اتصاله بحضارات الشرق القديم أمراً لا مفر منه ، ولاسيما أن هذه الحضارات كانت الأكثر تطورًا وازدهارًا في عالم البحر المتوسط.

2. الأثر المصري .. فجر الضمير

إن الميادين التي أفادت منها الحضارة اليونانية القديمة هي من تراث الشرق الأدنى القديم فهي كثيرة وعميقة ، ويمكن أن نشير إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر، فقد أفاد اليونانيون من الحضارة المصرية القديمة (الفرعونية) في ميادين كثيرة منها : الرياضيات والهندسة ، وتؤكد وثائق البردي ، التي تعود في أصولها إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، تفوق المصريون القدماء في هذين العلمين ، ولاسيما أن بناء الأهرام يتطلب دقة في القياس ، لا يمكن الوصول إليها من دون معرفة واسعة بالهندسة والعلوم الرياضية ، كما تطلبت عمليات مسح الأراضي ، بعد فيضان النيل وانخفاضه ، إجراء عمليات حسابية واسعة ودقيقة ، كما تفوق المصريون فكريا أو كما وصفهم المؤرخ جون برستيد بأنهم عرفوا فجر الضمير ، حتى لو جاء بعد هذا الفجر تعدد للآلهة ، ويقول برستيد : إن أعظم ظاهرة أساسية في تقدم حياة الإنسان هي نشوء المبادئ الخلقية وظهور عنصر «الأخلاق»، وهو تحول في حياة الإنسان، يدلنا التاريخ على أنه وليد الأمس فقط ، وقد يكون من الخير أن نعيد الإشادة بتلك القيم القديمة التي أصبحت في زوايا الإهمال لاستخفافنا بها، وبخاصة في هذا الوقت الذي أصبح فيه الجيل الحديث ينبذ الأخلاق الموروثة، ولكي نتمثل صورة حقه لقيمة الأخلاق الفاضلة وتأثيرها في الحياة الإنسانية يجب أن نجتهد في الكشف على الطريقة التي وصل بها الإنسان للمرة الأولي إلى إدراك الأخلاق وتقدير قيمتها.

فالوثائق القديمة تكشف لنا عن أصول مثلنا الوراثية وتكشف عن فجر الضمير ونشوء أقدم مثل للسلوك وما نتج عن ذلك من ظهور عصر الأخلاق ، وهو ما وُجد في الحضارة المصرية القديمة ، فقد سبقت الحضارة الفرعونية كل الحضارات بآلاف السنين، وليس صحيحا أن العبرانيين كانوا أسبق في المعرفة والحكمة من المصريين ، بل كانوا وسطاء بين الحضارة اليونانية القديمة والمصرية الأقدم[24]. ومن تلك الحضارة أخذ الإغريق ، ليس العلوم والرياضيات فقط ، ولكن أيضا أخذت الأخلاق والمثل العليا ، ففي ميدان العلوم

[24] عادل زيتون – ابن خلدون – مصدر سابق.

البحتة أشار أرسطو إلى نشأة الرياضيات العملية في مصر، وأكد هيرودوت انتقال علم الهندسة من مصر إلى بلاد اليونان ، وكشفت المراجع أن فيثاغورث عاد من مصر إلى بلاده وهو يحمل معه مبادئ علم الهندسة ، كما أفاد اليونانيون من علوم المصريين القدماء وخبراتهم في ميدان الطب والتشريح ، فقد تحدث هيرودوت عن براعة المصريين وتقدمهم في هذا الميدان ، وتؤكد وثائق البردي الطبية ، التي تعود إلى العصر الفرعوني المبكر هذه الحقائق كلها ، ومن الثابت أيضًا أن اليونانيين قد تأثروا بعقائد المصريين وطقوسهم الدينية تأثرًا بالغًا ، فقد حظيت آلهة المصريين باحترام اليونانيين ، بل اعتبر هيرودوت أن أصل معظم أسماء الآلهة اليونانية إنما جاء من مصر ، فآمون المصري هو زيوس (كبير آلهة اليونان) ، وإيزيس المصرية هي ديميتر اليونانية ، وأوزيريس المصري هو ديونيوس اليوناني... الخ ، وتحتوي الجزر اليونانية على معابد ونقوش مخصصة لإيزيس وغيرها من الآلهة المصرية . كما بين هيرودوت أن كثيراً من طقوس اليونان الدينية ذات أصول مصرية مثل عادة النوم في المعبد ، اعتقادًا منهم أن الذي ينام في المعبد – كما يقول سارتون– يعتبر ضيفًا في العالم الآخر ورفيقاً للموتى ، وأحلامه في المعبد لها قيمة خاصة. كما تأثر اليونانيون بدعوة إخناتون (ت1350 ق. م.) الذي دعا إلى إله واحد وجاهد لرفع مستوى وعي الإنسان الديني ، وظل للآلهة المصرية مكانة كبيرة في بلاد اليونان على امتداد قرون طويلة ، حتى أنه عندما احتل الإسكندر المقدوني مصر عام 332 ق. م، نُصِّب فرعوناً حسب الطقوس الدينية المصرية ، كما ارتحل بنفسه إلى قلب الصحراء الغربية لزيارة معبد الإله آمون ، الذي كان قد ذاع صيته وانتشرت عبادته في العالم اليوناني.

ولم يقف تأثر اليونانيين بالحضارة المصرية القديمة عند الميادين السابقة ، بل امتد إلى ميدان الأدب والأساطير، حيث تسرب، بصفة خاصة، الأدب الأسطوري المصري إلى ثقافة اليونان، مثل أسطورة أوزيريس المصرية، التي تعد رمزاً لعلاقات الإنسان بالطبيعة والآلهة[25].

3. الأثر السوري

استفادت الحضارة اليونانية من الحضارة السورية القديمة ، التي ازدهرت في الألف الثالث قبل الميلاد ، فائدة مزدوجة ، فقد أفادت من إنجازات هذه الحضارة وإبداعات أهلها المادية منها والفكرية من ناحية ، ومما نقله التجار الفينيقيون (الكنعانيون) من متاجر وأفكار

[25] نفسه

بلدان الشرقين الأدنى والأقصى إلى بلاد اليونان من ناحية أخرى ، والواقع أن أعظم هدية قدمها الفينيقيون للحضارة الإنسانية كانت اختراع الحروف الأبجدية منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد، وقد اقتبس اليونانيون هذه الأبجدية الفينيقية منذ أواخر القرن العاشر قبل الميلاد تقريباً ، وقد أكد هذه الحقيقة المؤرخون اليونان أنفسهم ، فهذا هيرودوت يقول إن الفينيقيين علموا اليونانيين كثيراً من العلوم والمعارف ، وفي مقدمتها الحروف الأبجدية التي لم يكن هؤلاء على علم بها ، ومن خلال اليونانيين والفينيقيين دخلت هذه الحروف إلى إيطاليا ثم إلى الغرب الأوربي عامة ، فقد أخذ الرومان من اليونانيين كثيرًا من العناصر الحضارية ، وكان من أهمها الأبجدية الفينيقية ، وقد أظهر اليونانيون براعة في تطوير هذه الأبجدية بحيث تلائم خصائص لغتهم، حيث أضافوا إليها الحروف الصوتية وأخذوا يكتبونها من اليسار إلى اليمين بعكس الفينيقيين ، ولاشك في أن الحروف الابجدية الأوربية هي أثر باق من الدين العظيم المدين به، لا اليونانيون فقط بل الغرب الأوربي كله للفينيقيين[26].

4. أثر بلاد الرافدين

أما الميادين التي أفادت منها الحضارة اليونانية من حضارة بلاد الرافدين– التي يعدها المؤرخون بحق مهد الحضارة الإنسانية– فقد كانت كثيرة ، وفي مقدمتها الكتابة المسمارية، التي شكل اختراع السومريين لها (نحو3200 ق. م.) نقطة الانطلاق الحاسمة في تقدم الحضارة الإنسانية ، لأن جميع الشعوب استخدمت المسمارية في كتابة لغاتها ، كما أفاد اليونانيون من تراث الرافدين في ميدان الرياضيات ، العملية منها والنظرية.

وتؤكد المراجع أن العالم الرياضي فيثاغورث اعتمد كثيرًا في بناء نظرياته الرياضية على ما كان قد توصل إليه علماء الرافدين من نظريات ، وتعلم اليونانيون من البابليين ، ومن ثم الكلدانيين ، مبادئ علم الفلك وطرائق رصد الأجرام السماوية وأدواته ، والجداول الفلكية والخرائط الجغرافية والتقاويم الفلكية ، حتى أن التقويم البابلي والكلداني صار نموذجًا للتقاويم الإغريقية والرومانية قبل إدخال التقويم اليوناني ، وكان العالم اليوناني طاليس قد تنبأ بكسوف الشمس الذي حدث في الثامن والعشرين من شهر مايو عام 585 ق.م. بعد أن اطلع على علوم البابليين الفلكية ، ولا شك في أن

[26] نفسه

اليونانيين قد أفادوا من البابليين في ميدان القانون ولاسيما أن قانون حمورابي (1750 ق. م.) غدا نموذجاً لكل القوانين التي سادت في الغرب والشرق في العصور القديمة[27](27). من هنا نجد أن الحضارة اليونانية نتيجة عن تفاعلها مع الحضارات السابقة عليها ، وقد ظلت أثينا قائدة العالم العلمية ، حتى أثناء سيادة الرومان ظلت الحضارة الإغريقية هي التي تسود الفكر الغربي ، حتى دخلت في طور الانحدار ، في الوقت الذي صعدت فيه الحضارة الإسلامية لتقود العالم منفردة أكثر من سبعة قرون طوال.

ترجمة العلوم الإغريقية

1. حتمية الترجمة

قبل الحديث عن ترجمة العلوم اليونانية للغة العربية ، لابد من التأكيد على أن الحضارة الإسلامية تتميز عن غيرها من الحضارات السابقة أو اللاحقة عليها بميزتين ، الأولى : أن الحضارة الإسلامية ذات جذور إلهية ، أي أنها حضارة دين سماوي ، والثانية أن الدين الإسلامي دين عقل ووحي ، حيث أكد الإسلام على أهمية العقل الإنساني ، ومنذ ظهور الإسلام بالوحي الإلهي الذي نزل على النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ، أخذ الإسلام بقيمه المتسامية والمتسامحة ينتشر في أرجاء العالم ، وخلال أقل من قرن كان قد وصل لمعظم دول العالم القديم ، وكان من الطبيعي أن تلتقي الحضارة الإسلامية بالحضارات السابقة عليها ، في فارس ومصر وروما واليونان ، وأن تتفاعل بالتخاصم والتلاقي ، فكان علماء المسلمين يردون الرد على علماء الغرب من الإغريق ، فكان عليهم أن يتعرفوا على فكرهم للرد على تهجمهم على الإسلام المنتشر بالعدل لا بالسيف ، فكان لابد من قراءة فكرهم ، ومن أجل قراءة هذا الفكر كان لابد من ترجمة كتبهم ، وهذا ما حدث ، ومن تلك اللحظة حدث التأثير والتأثر ، فقد تمّ في ظل السلطة العباسية نهضة هائلة للفكر العلمي والفلسفي بين القرن الثامن والعاشر الميلادي ، ولقد ترافقت هذه النهضة بحركة ترجمة واسعة للنصوص اليونانية القديمة ، شملت مختلف ميادين علوم الفلك والطب والرياضيات والكتب الحربية والتنجيم والفلسفة الأرسطية بوجه خاص ، كان من نتائج ذلك إنجاز المدونات من النقل والتعليق والشروح

[27] نفسه

والتأليف ، المدونات التي شكلت " ركيزة الفكر العربي، ومصدرا لاتصال الغرب بالعصور القديمة الإغريقية "[28].

إن ظاهرة الترجمة العربية ربما تكون تلبية لما أراده بعض الخلفاء العباسيين ، ولكنها أيضا تمثل ظاهرة تعني المجتمع العباسي الوليد في العراق وتطوراته ، لماذا ؟ لأن الذين ساهموا في الترجمة والاهتمام بها كانوا تجارا ومالكين عقاريين بقدر ما كانوا خلفاء وموظفين في الدولة العباسية ، كما كانوا عربا وغير عرب ومسلمين وغير مسلمين في آن واحد. ومن الناحية التاريخية فإن هذه الظاهرة تعبر عن التلاقي الذي حدث خلال ما يقارب قرنين بين الحضارة العربية والحضارة الإغريقية ، وذلك في ظروف اجتماعية وسياسية وإيديولوجية سمحت بهذا التلاقي الذي أغنى الإنسانية ، والبرفيسور ديمتري غوتاس يشير إلى أن استخدامه لكلمة " يوناني" أو "عربي" لا تعني الإشارة إلى شعب ذي عرق أو أصول معينة ، وإنما للتدليل على اللغة التي عبرت بهما كل من هاتين الحضارتين (اليونانية والعربية) عن فاعليتهما التاريخية الفكرية والعلمية والفلسفية[29]. إن الحضارة العربية تكونت بمساهمة عدد من شعوب المنطقة، عربية وغير عربية ، إسلامية وغير إسلامية ، بفضل استخدام اللغة العربية فيما بينها تواصلا وثقافة وإبداعا داخل الإمبراطورية العربية ـ الإسلامية.

باختصار إن حالة جديدة تاريخية قد عرفت طريقها إلى الحياة والازدهار في جميع الجوانب ، ومن جهة ثانية فإن وصول السلالة العباسية إلى السلطة وانتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد ، خلق شروطا جديدة سكانية واندماجية وثقافية أطلقت حركة الترجمة ، لماذا ؟ لأنه على امتداد العصر الأموي ، ظلت اللغة اليونانية منتشرة في مناطق واسعة كلغة للتجارة ولأعمال الإدارة ، وذلك حتى بدأت الإصلاحات التي قام بها الخليفة "عبد الملك " وابنه "هشام" في تعريب الديوان والعمل على تعميم اللغة العربية[30]. فالواقع أن كثيرا من موظفي الدولة كانوا يتكلمون اللغة اليونانية في الوقت الذي كانت فيه هذه اللغة لغة تدريس بالنسبة للنخب المسيحية ، غير أن هذه النخب الدمشقية التي احتكت

[28] البروفيسور ديمتري غوتاس – الفلاسفة الإغريق في الترجمات العربية – –2000 ، نقلا عن رحيم العراقي في موقع الحوار المتدين.

[29] نفسه

[30] نفسه

مباشرة بالأمويين الذين زاولوا الإدارة البيزنطية في حكمهم ، كانت على شاكلة النخب المسيحية في العاصمة البيزنطية تحمل في أعماقها العداء للثقافة الإغريقية–الهيلينية الوثنية، هكذا بعيدا عن التأثير البيزنطي السائد في دمشق، فإن مجتمعا بغداديا جديدا متعدد الثقافات قد حدث وتوطّد.

لقد قام هذا المجتمع على مزيج من السكان ، مسيحيون ويهود ذوو لغة آرامية ـ مجموعات بشرية تتحدث اللغة الفارسية ـ عرب الحواجز وأعراب البادية في الحيرة ، أو في شمال العراق ـ سنة وشيعة ، متمركزون في الموصل أو في وسط العراق ، أو في الكوفة والبصرة. كل هذه المجموعات شاركت بشكل أو بآخر في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للعاصمة الجديدة العربية ـ العباسية ، أي ما يسمى عادة بالحضارة العربية الإسلامية[31]. إن عملية الترجمة إذن كانت استجابة لواقع جديد فرض نفسه ، أتى مع انتشار الإسلام بين شعوب ذات ثقافات مختلفة ، وكانت عملية الترجمة تحتاج فقط لقرار رسمي من خليفة من خلفاء المسلمين ، وهو ما جاء من الخليفة المأمون .

2. دور الخليفة المأمون في ترجمة الثقافة الإغريقية للغة العربية

لئن بدأ التفاعل بين الديانات والأعراق في الدولة العباسية في بدايتها ، إلا أن فضل الترجمة يعود للخليفة المأمون الذي اتخذ القرار الرسمي في الترجمة التي كانت ضرورة حتمية نتيجة وجود علاقات متعددة بين الشعوب التي يحكمها الخليفة العباسي ، فقد بدأت ترجمة الكتب اليونانية منذ عصر الخليفة المأمون.

وُلِدَ المأمونُ في عام 170هـ ، أبوه هارون الرشيد وأمه فارسية ، نشأ في حجر الخلافة وتهيأ له من أسباب التربية والتثقيف الكثير، وكانت مظاهر الذكاء والنجابة والبعد عن سفاسف الأمور من أهم سماته .. كما اشتهر بالحزم وحسن التدبير والطموح إلى الكمال، وكان استعداده الفطري أن يكون قائد أمة ، فقد حبتْه قدرةُ الله فنَ الخطابة وكان جهير الصوت وحسن اللهجة ، كما كان على عرفان بشؤون الحياة ، وكان حسن التوفيق في اختيار حاشيته

[31] نفسه

وأهل الشورى حوله من ذوي العلم والحنكة ، وقد اشتهر أيضًا بالحلم والعفو والكرم والبصر بالسياسة وشغف بالعلم والأدب والحوار الهادف[32].

كان هذا الخليفة عالمًا من كبار العلماء ، مثقفًا واسع الثقافة، يجيد كثيرًا من العلوم يهب العلم وقته ورعايته، كما يهب العلماء عطفه وعنايته. روى بعضُ المؤرخين : "أن المأمون لما دخل بغداد واستقر فيها ، أمر أن يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم ، جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته ، واختير لمجالسته مائة رجل ، ظل يختارهم واحدًا بعد الآخر حتى حصل منهم عشرة" ، كما كان يسهم مع العلماء في الحوار العلمي ، ويستنهض العلماء إلى النقاش الحاد ، فأوجد مجالس للمناظرة بين العلماء ، حيث كانت أسعد ساعات العمر ، هي التي يستمع فيها إلى الحوار المتبادل في موضوع واحد ، وكان العلماء يتجادلون ويتناظرون في شتى المسائل العلمية ، ويقول بعض المؤرخين : "أراد بعقد هذه المجالس إزالة الاختلاف بين المتناظرين في المسائل الدينية وتثبيت عقائد من زاغوا عن الدين ، وبذلك تتفق كلمة الأمة في المسائل الدينية التي كانت مصدر ضعفهم"[33]. ويقول البعض الآخر عنه "أراد أن يجعل مجلسه (محكمة) يتنازع فيها الخصوم : وكان يدلي بحجته ، والمتنازعون هم العلماء ، ثم تحكم المحكمة فيجب أن ينفذ حكمها.. ويجب أن يذعن المتنازع لحكم المحكمة ، فلا يقول قائل برأي إلا ما قضت به المحكمةُ.."[34].

وبلغت في عهده الصالونات والمجالس العلمية الذروة.. فوصلت به دولة العلم إلى أوج قوتها ، وقويت في عهده حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية – وخاصة من اليونانية والفارسية – إلى العربية – فأرسل البعوث إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة والطب والعلوم التطبيقية والموسيقى.

لم تكد تلك الذخائر النفيسة تصل إلى بغداد حتى عهد المأمون إلى جماعة من العلماء – منهم "حنين بن إسحاق" (264–194هـ) (877–809م) و"الحجاج بن نصر" و"ابن البطريق" (المتوفى 184هـ – 800م)، و"قسطا بن لوقا" البعلبكي تُوُفِّيَ حوالي (300هـ –

[32] أبو يعرب المرزوقي – تجليات الفلسفة العربية – دار الكتاب – بيروت 1980 – ص 93.

[33] نفسه

[34] نفسه

912م) و"ثابت بن قرة" المتوفى عام (288هـ 900-م) ، وهم يشكلون المرحلة الأكثر تألقًا في حركة الترجمة العربية[35].

كان "قسطا بن لوقا" يشرف على الترجمة من اللغات اليونانية والسريانية والكلدانية إلى العربية ، كما كان "يحيى بن هارون" يشرف على الترجمة من الفارسية القديمة. ويشير "القفطي" إلى تميز "حنين" في الترجمة ، وأنه هو الذي أوضح مؤلفات "أبقراط" و"جالينوس" ولخصها بأفضل السبل ، وكشف غموضها ، ويذكر "ابن أبي أصيبعة" أن "حنينًا" قدم تلخيصًا سريانيًا لكتاب "جالينوس" حول العقاقير البسيطة، وأن ترجماته كانت أكثر سلامة لغويًا ، وتعطي الانطباع بأنها نتيجة امتلاك سلس وعميق للغة وليست نتيجة جهد قلق ، وقد ظهر هذا الأمر في التكييف السهل للأصل اليوناني وفي الدقة المدهشة للتعبير المنتج دون إسهاب[36]. أما "يحيى بن البطريق" فقد كان يهتم بكل كلمة يونانية ودلالتها ، ثم يقدم الكلمة العربية المقابلة لها بالمعنى ويترجمها ، ثم يأخذ كلمة أخرى ، وهكذا تنتهي الترجمة[37].

وقد ذكر "ابن العبرى" في كتابه مختصر تاريخ الدول، إن "قسطا بن لوقا" أحد مشاهير الأطباء ونقلة العلوم في الإسلام – تبحر في الفلسفة والتنجيم والهندسة والحساب والموسيقى ، وكان يجيد اللغة اليونانية ويجيد العبارة بالعربية ، ولذا فقد نقل كتبًا كثيرة من اليونانية إلى العربية ، واشتهر بحسن النقل فصيحًا باللسان العربي واليوناني والسرياني.. ويشير "ماكس مايرهوف" إلى ما نقله "قسطا"، أنه ترجم الكثير من المؤلفات الطبية والرياضية والفلكية كما ترجم إلى جانبها مؤلفات فلسفية[38]. وقال بعض المؤرخين إن المأمون كان يدفع ثمن الكتاب المترجم ذهبًا ويقولون : إنه "أي الخليفة هو الكاسب ، وفي عهده أيضًا بدأ كثير من المسلمين في دراسة الكتب التي ترجمت إلى العربية ، وعملوا على إيضاحها وتفسيرها والتعليق عليها وإصلاح أغلاطها ، واشتهر من هؤلاء "أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي" (185-253هـ) 867-801م) – وهو عربي الجنسية من قبيلة كندة اليمنية – وقد نبغ في الطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم ، وحذا في تأليفه حذو "أرسطو"..

[35] محمد عابد الجابري – تكوين العقل العربي – مصدر سابق

[36] نفسه

[37] نفسه

[38] نفسه

وترجم كثيرًا من الكتب اليونانية إلى العربية وشرح غوامضها ، فمثلاً نقل كتاب الجغرافيا في المعمور من الأرض لـ"بطليموس" ، وكان سريانيًا ، وقد نقله "الكندي" إلى العربية نقلاً جيدًا ، كما نقّح ما ترجمه غيره من المترجمين .. وكان هذا العالم معاصرًا للمأمون ثم للخلفاء المعتصم والواثق والمتوكل. وفي عهده وصل النشاط في مكتبة "بيت الحكمة" التي أنشأها والده الخليفة هارون الرشيد إلى ذروته.

وقال كثير من المؤرخين : "إن جميع النهضات العلمية العربية إنما هي فروع للأصل الذي أنبته المأمون .. وأن ما جرى في عهده من ترجمات للتراث اليوناني يُعتَبَر مضرب الأمثال". كما رُوي أنه كان يضطهد أحيانًا أعداء العلم وجفاة الفلسفة ، وقد عرف التاريخ كثيرًا من أرباب الشهرة الذين قضوا في سجنه الشهور أو السنين ، لأنهم كانوا يعادون الفلسفة، ظنًا منهم أن منها ما يعدو على الدين فيفسده ، ويقول المرحوم الإمام محمد عبده في كتابه "الإسلام دين العلم والمدنية " مستفهمًا : هل رأيت في غير الإسلام رئيسًا دينيًا يضطهد أعداء العلم وجفاة الفلسفة" ، ثم يجيب على هذا السؤال بقوله: "لعلك لا تجده أبدًا"[39].

نتائج التأثير الإغريقي وأبرز فلاسفة المسلمين

1. نتائج التأثير الإغريقي

جاء التأثير المتبادل بين الثقافتين الإغريقية والإسلامية ، من خلال الترجمة التي حدثت للعلوم اليونانية ، سواء في صورتها الفلسفية ، أو في أنماط التفكير ، وفي نفس الوقت ، نستطيع القول : إن علم الكلام بدأ مبكرا قبل ترجمة العلوم ، ولكنه اتخذ صورته الفلسفية تأثرا بعلوم اليونان فيما بعد ، وإذا اعتبرنا تعريف الفلسفة على أنها محاولة بناء تصور ورؤية شمولية للكون والحياة ، فإن بدايات هذه الأعمال في الحضارة الإسلامية ، بدأت كتيار فكري في البدايات المبكرة للدولة الإسلامية ، حيث بدأ بعلم الكلام ، ووصل الذروة في القرن التاسع عندما أصبح المسلمون على إطلاع بالفلسفة اليونانية القديمة ، والذي أدى إلى نشوء رعيل من الفلاسفة المسلمين الذين كانوا يختلفون عن علماء الكلام. كان علم الكلام مختصا بموضوع

[39] الشيخ محمد عبده – الإسلام دين العلم والمدنية – مكتبة الأسرة – القاهرة – 1997 – ص 92.

الإيمان العقلي بالله وكان غرضه الانتقال بالمسلم من التقليد إلى اليقين وإثبات أصول الدين الإسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بها.

إن علم الكلام كان محاولة للتصدي للتحديات التي فرضتها الالتقاء بالديانات القديمة التي كانت موجودة في بلاد الرافدين أساسا (مثل المانوية والزرادشتية والحركات الشعوبية) وعليه فإن علم الكلام كان منشأه الإيمان على عكس الفلسفة التي لا تبدأ من الإيمان التسليمي، أو من الطبيعة، بل تحلل هذه البدايات نفسها إلى مبادئها الأولى[40]، فهناك مؤشرات على أن بداية علم الكلام كان سببه ظهور فرق عديدة بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. كان نشأة علم الكلام إذن في التاريخ الإسلامي نتيجة ما اعتبره المسلمون ضرورة للرد على ما اعتبروه بدعة من قبل بعض «الفرق الضالة» ، وكان الهدف الرئيسي هو إقامة الأدلة وإزالة الشبه ، ويعتقد البعض إن جذور علم الكلام يرجع إلى الصحابة والتابعين ويورد البعض على سبيل المثال رد ابن عباس وابن عمر وعمر بن عبد العزيز والحسن بن محمد بن الحنفية على المعتزلة ، ورد علي ابن أبي طالب على الخوارج ، ورد إياس بن معاوية المزني على القدرية والتي كانت شبيهة بفرضية الحتمية.

كان علم الكلام عبارة عن دراسة «أصول الدين» التي كانت بدورها تتمركز على اربعة محاور رئيسية وهي[41]:

أ. الألوهية: البحث عن إثبات الذات والصفات الإلهية.

ب. النبوة : عصمة الأنبياء وحكم النبوة بين الوجوب عقلاً ، وهو مذهب المعتزلة ، والجواز عقلاً وهو مذهب الأشاعرة.

ج. الإمامة: الآراء المتضاربة حول رئاسة العامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي محمد.

د. المعاد: فكرة يوم القيامة وإمكان حشر الأجسام. ويدرج البعض عناوين فرعية أخرى مثل «العدل» و«الوعد» و«الوعيد» و«القدر» و «المنزلة»[42].

---

[40] محمد عابد الجابري – مصدر سابق.

[41] نفسه

[42] نفسه

إن علم الكلام كان يستند أساسا على النصوص الشرعية من قرآن وسنة وأساليب منطقية لغوية ، لبناء أسلوب احتجاجي يواجه به من يحاول الطعن في حقائق الإسلام، في حين أن الفلاسفة المشائين ، وهم الفلاسفة المسلمين الذين تبنوا الفلسفة اليونانية ، فقد كان مرجعهم الأول هو التصور الأرسطي أو التصور الأفلاطوني الذي كانوا يعتبرونه متوافقا مع نصوص وروح الإسلام ، ومن خلال محاولتهم لاستخدام المنطق لتحليل ما اعتبروه قوانين كونية ثابتة ناشئة من إرادة الله ، قاموا بداية بأول محاولات توفيقية لردم بعض الهوة التي كانت موجودة أساسا في التصور لطبيعة الخالق بين المفهوم الإسلامي لله ، والمفهوم الفلسفي اليوناني للمبدأ الأول أو العقل الأول. ثم تطورت الفلسفة الإسلامية من مرحلة دراسة المسائل ، التي لا تثبت إلا بالنقل والتعبّد ، إلى مرحلة دراسة المسائل التي ينحصر إثباتها بالأدلة العقلية ، ولكن النقطة المشتركة عبر هذا الامتداد التاريخي كان معرفة الله وإثبات الخالق[43]. لقد بلغ هذا التيار الفلسفي منعطفا بالغ الأهمية على يد ابن رشد من خلال تمسكه بمبدأ الفكر الحر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة[44].

أما أول من برز من فلاسفة العرب ، كان الكندي الذي يلقب بالمعلم الأول عند العرب ، من ثم كان الفارابي الذي تبنى الكثير من الفكر الأرسطي من العقل الفعال وقدم العالم ومفهوم اللغة الطبيعية ، أسس الفارابي مدرسة فكرية كان من أهم أعلامها : الأميري والسجستاني والتوحيدي ، وكان الغزالي أول من أقام صلحا بين المنطق والعلوم الإسلامية ، حين بين أن أساليب المنطق اليوناني يمكن أن تكون محايدة ومفصولة عن التصورات الميتافيزيقية اليونانية ، وتوسع الغزالي في شرح المنطق واستخدمه في علم أصول الفقه ، لكنه بالمقابل شن هجوما عنيفا على الرؤى الفلسفية للفلاسفة المسلمين المشائين في كتاب تهافت الفلاسفة ، رد عليه لاحقا ابن رشد في كتاب تهافت التهافت.

في إطار هذا المشهد كان هناك دوما اتجاه قوي يرفض الخوض في مسائل البحث في الإلهيات وطبيعة الخالق والمخلوق وتفضل الاكتفاء بما هو وارد في نصوص الكتاب والسنة، هذا التيار الذي يعرف «بأهل الحديث» والذي ينسب له معظم من عمل بالفقه الإسلامي والاجتهاد ، كان دوما يشكك في جدوى أساليب الحجاج الكلامية والمنطق الفلسفية ، وما زال

[43] نفسه

[44] نفسه

هناك بعض التيارات الإسلامية التي تؤمن بأنه « لا يوجد فلاسفة للإسلام»، ويقولون : إنه لا يصح إطلاق هذه العبارة، فالإسلام له علماؤه الذين يتبعون الكتاب والسنة، أما من اشتغل بالفلسفة فهو من المبتدعة الضُّلال»[45].

2. أبرز فلاسفة المسلمين

برز مفكرون إسلاميون خلال عصر النهضة الإسلامية الكبرى ، بل وبرزت تيارات كبرى عقلية فلسفية ، مثل إخوان الصفا ، الذين كانوا أكثر تأثرا بالأسلوب الإغريقي الأرسطي ، وقبلهم جماعة المعتزلة التي كانت أخف تأثرا من إخوان الصفا ، كما ظهر فلاسفة مسلمون كبار أثروا الحياة البشرية عندما وصّلوا الفكر الإسلامي للعالم بأسره ، ومن جملة فلاسفة الإسلام : يعقوب بن إسحق الكندي، وحنين بن إسحاق، ويحيى النحوي، وأبي الفرج المفسر، وأبي سليمان السجزي، وأبي سليمان محمد بن معشر المقدسي، وأبي بكر ثابت بن قرة الحراني، وأبي تمام يوسف بن محمد النيسابوري ، وأبي زيد بن سهل البلخي، وأبي محارب الحسن بن سهل بن محارب القمي، وأحمد بن الطيب السرخسي، وطلحة بن محمد النسفي، وأبي حامد أحمد بن محمد الاسفرايني، و عيسى بن علي بن عيسى الوزير، و أبي علي أحمد بن محمد بن مسكويه، وأبي زكريا يحيى بن عدي الصيمري، وأبي الحسن محمد بن يوسف العامري، وأبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، وغيرهم[46]. أما أبرز وأشهر فلاسفة المسلمين ، الذين أثروا في النهضة الأوربية ، وما زال تأثيرهم ممتدا، فهم الكندي، الفارابي، ابن سينا و ابن رشد.

الأول: الكندي هو أبو يوسف ، يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي، ينتهي نسبه إلى ملوك كندةٍ فهو عربي الأصل، ولد بالكوفة سنة 185 هـ/ 801م ، وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميرا عليها للمهدي والرشيد. كانت الكوفة مدرسة الكندي الأولى، فقد مات أبوه وهو طفلٌ صغيرٌ، فلم يستمتع بالعزِّ الذي كان عليه أجدادُه ، لاسيما وقد هاجر معظم بني الأشعث وتشتتوا في البلاد، ولكن أُمَّه الواعية الحصيفة لم تشأ أن يضيع ابنها مع ما ضاع من أُبَّهةٍ ومجدٍ، فرأت أن العلم خير لهذا الفتى من ترف الحُكْم وعزِّ السياسة ، فدفعته إلى تعلم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم وتعلم

[45] نفسه

[46] الملل والنحل ، ج2 ، ص157 ، نسخة الكترونية.

الحديث الشريف وأصول الفقه ومبادئ النحو، ومهدت له الطريق إلى قراءة الشعر العربي وإتقان لغة العرب لمعرفة أسرار البلاغة وأسباب الفصاحة[47].

لقد كان يلقب بفيلسوف العرب ؛ فقد خلف وراءه مجموعة من المصنفات تبلغ مائتين وأربعين مصنفاً بين كتاب ورسالة عهد إليه المأمون بترجمة مؤلفات أرسطو فكان له كتاب (إلهيات أرسطو)، وغيره من فلاسفة اليونان ، كما درس ما نُقِل من كتب أبقراط وجالينوس في علوم الطب ، ثم درس هندسة إقليدس ، وهكذا كان للكندي فضل كبير في ترجمة العلوم من اللغة اليونانية ، وجعلها ميسرة أمام القارئ العربي ، بعد أن أخضع هذه الترجمات إلى الذوق العربي ومقتضى التفكير الشرقي ، ملبساً إياها ثوباً من العبارات الفصيحة والتراكيب المبسطة، وفهم أبعاده ومراميه ، ووفّق بين الصياغة اليونانية والصياغة العربية ، إلا أن الكندي كثيراً ما كان يغني هذه الترجمات بالشرح والتفسير، غير أنه لقي عنتا من المتوكل فقد وشى به حساده واتهموه بالأخذ بمذهب المعتزلة فأمر المتوكل بضربه ومصادرة كتبه ثم تبين له الحق ؛ فرضي عنه ووصله وردَّ إليه كتبه.

استحق الكندي إذن عن جدارة ومقدرة لقب : "فيلسوف العرب" اعتماداً على كتابه القيِّم (في الفلسفة الأولى) الذي أهداه إلى الخليفة المعتصم ، وفي هذا الكتاب نجد عمق آرائه الفلسفية التي عالجت مختلف شؤون المعرفة ، وقد وصفه بعض المستشرقين بقولهم: يعد الكندي واحدا من اثنتي عشرة شخصية تمثل قمة الفكر الإنساني ، ذلك بسبب ذهاب الكندي للقول بنسبية الحواس، آمن الكندي بجدوى الفلسفة وضرورة التفكير في وقت كان علماء الشريعة يخشون أن تتعارض هذه الفلسفة مع العقيدة، وتناقض مبادئ الدين الحنيف، فسعى سعيه إلى التوفيق بين الدين والفلسفة ، ونفي تهمة الكفر والإلحاد عن الفلاسفة ؛ إذ كان يرى أن موضوع الفلسفة هو معرفة الله ووحدانيته ، ومعرفة الفضائل النافعة لإتباعها ، والرذائل الضارة لاجتنابها، وهذا هو عينه موضوع الدين وجوهره الحقيقي[48]. وكذلك اهتم الكندي بالرياضيات وذهب فيها مذهب أفلاطون فقال : إن الفلسفة لا تفهم إلا بالرياضيات

[47] موقع الكندي للدراسات ، وموقع الفلسفة الإسلامية.

[48] نفسه

والرياضيات تكون بالبراهين لا بالاقتناع الشخصي ولا بالظن، وأخذ من أرسطو التفريق بين العقل الفعال وهو إلهي، والعقل المنفعل وهو إنساني، ولا يتخطى القدرة على التفكير[49].

الثاني: الفارابي. كان الفارابي فيلسوفاً ورياضياً فذاً ذائع الصيت ، وهو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني لدراسته كتب أرسطو (المعلم الأول) وشرحه لها، ويعرف الفارابي في اللاتينية باسم Alpharabius. ولد في مدينة "فاراب" في تركستان حيث كان والده تركياً من قواد الجيش. يقول علي عبد الواحد وافي[50] : إنه لا يُعرَف شيء يقيني عن طفولة الفارابي الأولى أو مراحل حياته التالية ، وكل ما يعرف عنه أنه درس في مسقط رأسه مجموعة من المواد المختلفة كالعلوم، والرياضيات، والآداب، والفلسفة، واللغات خاصة التركية، والفارسية، واليونانية، والعربية، وفي سن متقدمة غادر مسقط رأسه وذهب إلى العراق لمتابعة دراساته العليا ؛ فدرس الفلسفة، والمنطق، والطب على يد الطبيب المسيحي يوحنا بن حيلان، كما درس العلوم اللسانية العربية والموسيقى، ومن العراق انتقل إلى مصر والشام، حيث التحق بقصر سيف الدولة في حلب واحتل مكانة بارزة بين العلماء، والأدباء، والفلاسفة، وبعد حياة حافلة بالعطاء في شتى علوم المعرفة طوال ثمانين سنة، توفي الفارابي أعزب، بمدينة دمشق سنة 339هـ/ 950م[51].

ويعدّ الفارابي (257-339هـ/ 870-950م) أكبر فلاسفة المسلمين، وقد أطلق عليه معاصروه لقب: "المعلم الثاني" لاهتمامه الكبير بمؤلفات أرسطو "المعلم الأول"، وتفسيرها، وإضافة الحواشي والتعليقات عليها ، ومن خصائص فلسفة الفارابي أنه حاول التوفيق من جهة، بين فلسفة أرسطو وفلسفة أفلاطون ، ومن جهة أخرى بين الدين والفلسفة ، كما أنه أدخل مذهب الفيض في الفلسفة الإسلامية ووضع بدايات التصوف الفلسفي. ورغم شهرة الفارابي في الفلسفة والمنطق ، فقد كانت له إسهامات مهمة في علوم أخرى كالرياضيات والطب والفيزياء. يقول كارا دي فو Carra de Vaux: أما الفارابي الأستاذ الثاني بعد أرسطو وأحد أساطين الأفلاطونية الحديثة ، ذو العقلية التي وعت فلسفة الأقدمين ، ومن أهم كتب الفارابي في الفلسفة والمنطق : "آراء أهل المدينة الفاضلة" ـ "الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون الإلهي

[49] نفسه

[50] موقع : "الإيسيسكو". للفارابي.

[51] نفسه

وأرسطوطاليس"، وهو كتاب يوفق فيه الفارابي بين آراء أفلاطون وأرسطو، وكان من بين أهم الشروح والكتب التي ألفها في العلوم الأخرى ما يلي: شرح كتاب "المجسطي" في علم الهيئة لبطليموس ـ شرح المقالتين الأولى والخامسة من كتاب إقليدس في الهندسة ـ كتاب في المدخل إلى الهندسة الوهمية ـ كلام في حركة الفلك ـ مقالة في صناعة الكيمياء ـ كتاب إحصاء العلوم : قسم الفارابي في هذا الكتاب العلوم إلى ثماني مجموعات ، ثم ذكر فروع كل مجموعة وموضوع كل فرع منها وأغراضه وفوائده ، وترجمه جيرار الكريموني إلى اللاتينية، وكتاب صناعة علم الموسيقى: شرح فيه الفارابي مبادئ النغم والإيقاع[52].

الثالث: ابن سينا. إنه الشيخ الرئيس والمعلم الثالث.. عاش ابن سينا في أواخر القرن الرابع الهجري وبدايات القرن الخامس من الهجرة ، وقد نشأ في أوزبكستان ، حيث ولد في «أفشنة» إحدى قرى «بخارى» في شهر صفر (370 هـ= أغسطس 980م). وحرص أبو عبد الله بن سينا على تنشئته تنشئة علمية ودينية منذ صغره ، فحفظ القرآن ودرس شيئا من علوم عصره ، حتى إذا بلغ العشرين من عمره توفي والده ، فرحل أبو علي الحسين بن سينا إلى جرجان ، وأقام بها مدة ، وألف كتابه «القانون في الطب»، ولكنه ما لبث أن رحل إلى «همذان» فحقق شهرة كبيرة ، وصار وزيرا للأمير «شمس الدين البويهي»، إلا أنه لم يطل به المقام بها ؛ إذ رحل إلى «أصفهان» ، وحظي برعاية أميرها «علاء الدولة»، وظل بها حتى خرج مع الأمير علاء الدولة في إحدى حملاته إلى همذان؛ حيث وافته المنية بها في رمضان (428 هـ= يونيو 1037م)[53].

وكان ابن سينا عالما وفيلسوفا وطبيبا وشاعرا ، ولُقِّب بالشيخ الرئيس والمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي ، كما عُرِف بأمير الأطباء وأرسطو الإسلام ، وكان سابقا لعصره في مجالات فكرية عديدة ، ولم يصرفه اشتغاله بالعلم عن المشاركة في الحياة العامة في عصره؛ فقد تعايش مع مشكلات مجتمعه ، وتفاعل مع ما يموج به من اتجاهات فكرية، وشارك في صنع نهضته العلمية والحضارية. وكان لذلك كله أبلغ الأثر في إضفاء المسحة العقلية على آرائه ونظرياته ، وقد انعكس ذلك أيضا على أفكاره وآثاره ومؤلفاته ، فلم يكن ابن سينا يتقيد بكل ما وصل إليه ممن سبقوه من نظريات ، وإنما كان ينظر إليها ناقدا ومحللا ، ويعرضها على مرآة

[52] نفسه

[53] عباس محمود العقاد – ابن سينا الشيخ الرئيس – سلسلة كتاب أُقرأ – القاهرة – 1953

عقله وتفكيره ، فما وافق تفكيره وقبله عقله أخذه وزاد عليه ما توصل إليه واكتسبه بأبحاثه وخبراته ومشاهداته ، وكان يقول: إن الفلاسفة يخطئون ويصيبون كسائر الناس، وهم ليسوا معصومين عن الخطأ والزلل[54].

الرابع: ابن رشد. إنه الوليد محمد بن أحمد بن رشد الفقيه والفيلسوف الأندلسي المشهور ، تربى في أحضان والده الذي كان من كبار القضاة في الأندلس ، فجدُّه الذي عُرف مثله بـ»ابن رشد» كان عالما وفقيها على مذهب الإمام مالك ، وقد تقلد القضاء في قرطبة ، وتوفي في العام الذي ولد فيه حفيده ابن رشد، وكذلك كان أبوه أحمد قاضيا بارعا في الفقه والعلم. في مثل هذه البيئة نشأ ابن رشد الفقيه الفيلسوف ، فاتجه منذ صغره إلى طلب العلم ، فدرس الفقه وحفظ موطأ الإمام مالك ، وروى عنه الحديث، وحصل على إجازة في ذلك من والده ، كما درس علم الكلام من خلال مذهب الأشاعرة ، ودرس الطب والرياضيات، والمنطق والفلسفة التي برع فيها وتفوق ودافع عنها ضد الخصوم ، ودعا إلى دراستها إلى أن توفي في مراكش في شهر ديسمبر من سنة 595 هـ ـ 1198م، ليدفن في قرطبة. درس ابن رشد على أبرز علماء عصره من أمثال: أبي القاسم بن بشكوال، أبي مروان بن مسرة، وأبي بكر بن سحنون، وأبي جعفر هارون ، كما تولى منصب «قاضي القضاة» بقرطبة ، فلقب بـ»قاضي قرطبة» ، كما كان من شُرَّاح المذهب المالكي ، ولقب بـ»الشارح الأكبر» نظرا لقيامه بشرح كتب أرسطو، ولخص بعض مؤلفات أفلاطون مثل الجمهورية وغيرها. تفوق ابن رشد في شتى المجالات والعلوم التي ولج بابها ، فكانت له شهرته ، ومكانته العالية التي نال بسببها إعجاب الكثيرين، ولكن من المفارقات التاريخية حول ابن رشد (1126 – 1198)، هو اختلاف وجهات النظر حوله بين المسلمين المعاصرين له وبين وجهة نظر الغرب له ، فقد أعتبره الغرب من أهم الفلاسفة المسلمين على الإطلاق ، حيث ترجمت أعماله إلى اللاتينية والعبرية وأثرت أفكاره بشكل واضح على كتابات الفلاسفة المسيحيين واليهود ومنهم بالتحديد توماس أكويناس (1225 – 1274) وألبرت الكبير (1206 – 1280) وموسى بن ميمون (1135 – 1204) وأيرنست رينان (1823 – 1892) ، بينما لم يلق ابن رشد نفس الاهتمام من المعاصرين له

[54] نفسه

حيث فضل الفيلسوفان المعاصران له، يحيى السهروردي ومؤيد الدين العربي إتباع منهج ابن سينا بدلا من منهج ابن رشد[55].

كان ابن رشد متعمقا في الشريعة الإسلامية بحكم منصبه كقاضي أشبيلية ، وحاول التقريب بين فلسفة أرسطو والعقيدة الإسلامية ، حيث كان ابن رشد مقتنعا انه لا يوجد تناقض على الإطلاق بين الدين والفلسفة ، وإن كلاهما يبحثان عن نفس الحقيقة ، ولكن بأسلوبين مختلفين وقام بالرد على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي في كتابه المشهور «تهافت التهافت» وأصر على عكس الغزالي على قدرة الفلسفة بإيصال الإنسان إلى اليقين ، الذي لا يقبل الجدل حول ماهية الله[56]. شدد ابن رشد على نقطة في غاية من الأهمية كانت غائبة عن بال من سبقوه ، وهي إن الفلسفة وعلم الكلام والصوفية والباطنية وغيرها من التيارات الفكرية ، تشكل خطرا على الأشخاص الذين ليس لهم القدرة على التفكير الفلسفي ، وإن الشخص الغير المتعمق أو الذي يأخذ بقشرة الفكرة سوف يتعرض إلى صراعات نفسية وفكرية تؤدي به إلى الشك والتشتت بدلا من اليقين والتنور[57].

وفي محاولة ابن رشد لتضييق الفجوة بين الدين والفلسفة ، طرح ابن رشد فكرته حول أفضل وسيلة لتفسير الدين والخالق من وجهة نظر فلسفية ، فقال إن على الفيلسوف القبول ببعض الأفكار الدينية ، لكي يصبح فعالا في الوصول إلى طبيعة الخالق ، ومن هذه الأفكار وجود الله – وحدانية الله – كون الله فريدا من نوعه – عدالة الله – الحياة بعد الموت – خلق الله للكون[58]. قام ابن رشد بتوضيح فكرته أكثر قائلا إن القرآن على سبيل المثال قد ذكر أن الله قد خلق الكون ، ولكنه لم يوضح كيف تم هذا الخلق ومتى تم هذا الخلق ، وبهذا فإن القرآن قد فتح الباب على مصراعيه للفيلسوف ، بأن يستعمل العقل والمنطق للتعمق في هذه النقطة ، وبهذا اعتبر ابن رشد التحليل الفلسفي لأمور الدين قمة التدين ، وليس منافيا لمفهوم الدين[59].

---

[55] موقع إسلام أون لاين

[56] نفسه

[57] محمد عابد الجابري – مصدر سابق

[58] نفسه

[59] نفسه

هذه سير بعض فلاسفة الإسلام ، من الذين أثروا الحياة الفكرية ، فقد كانوا أمناء مع أنفسهم ودينهم وإنسانيتهم عندما نقلوا تراث الإغريق ، ثم أضافوا إليه بما يتفق مع روح الحضارة الإسلامية الإيمانية ، ومن ثم فإنهم صاغوا منهج الحضارة الغربية المعاصرة ، وإن قامت الحضارة الغربية على أسس العقل ، دون النظر للمصدر الإلهي للمعرفة والكون والحياة الدنيا والآخرة ، ومن ثم كانت الحضارة الغربية حضارة مادية بحتة تشبه كثيرا الحضارة الإغريقية المادية ، التي أخذ منها علماء المسلمين ما يتفق مع المصدر الإلهي ، فكانت حضارة فقه وعبادة ، وحضارة دنيا ودين ، وحضارة تنظر للدنيا والآخرة بمنظار المعرفة الإلهية ، لكون الإنسان هو الخليفة في الأرض كما ذكر الله ذلك في القرآن الكريم الذي نزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

خاتمة الدراسة

الإسلام دين شامل لكل نواحي الحياة البشرية ، ففيه الفقه العبادي وفقه المعاملات ، وفيه فقه السلام الدولي ، وفقه الحرب ، وفيه كل ما ينفع الإنسان ، وقد رأينا في البحث كيف كان التواصل الحضاري مع ثقافات الشعوب الأخرى ، تواصل يعطي للعالم أسلوب التفكير ، كما يعطي التسامح والسلام والعدل والأخوة بين البشر ، ولذلك فقد أجمع العلماء من الشرق والمنصفون في الغرب على أنَّ الحضارةَ الإسلاميةَ تحتل مكانةً رفيعةً بين الحضاراتِ الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية ، كما أنها من أطول الحضارات العالمية عمرًا ، وأعظمها أثرًا في الحضارة الإنسانية.

والحضارة الإسلامية هي نتاجٌ لتفاعل ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام ، سواء إيمانًا وتصديقًا واعتقادًا ، أو انتماءً وولاءً وانتسابًا ، وهي خلاصةٌ لتلاقح هذه الثقافات والحضارات التي كانت قائمةً في المناطق التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية ، ولانصهارها في بوتقة المبادئ والقيم والمُثل التي جاء بها الإسلام هدايةً للناس كافة ، ولقد نجحت الحضارة الإسلامية في اختيار العناصر الصالحةِ منها ، ثم مزجت بينها ، وأكملت نواحي النقص، بحيث صار لها في النهايةِ نكهة خالصة ، وشخصية مميزة استمرَّت على مدى قرون طويلة، بل ما زالت تعيش بين ظهرانَيْنا حتى الآن. والحضارة الإسلامية نوعان : النوع الأول : حضارة إسلامية أصيلة وتُسمَّى حضارة الخلق والإبداع ، وقد كان الإسلام مصدرها الوحيد ، وعرفها العالم

لأول مرة عن طريق الإسلام، والنوع الثاني : حضارة قام بها المسلمون في الأمور التجريبية امتدادًا وتحسينًا، كما عرفها الفكر البشري من قبل ، وتُسمَّى حضارة البعث والإحياء، فالحضارة الإسلامية بهذا المفهوم الجامع الشامل العميق هي إرثٌ مشترك بين جميع الشعوب والأمم ، التي انضوت تحت لوائها، وشاركت في بنائها ، وأسهمت في عطائها ، وهي الشعوب والأمم التي كوَّنت وشائج الأمة الإسلامية ونسيجَها المُحْكَم. فليست الحضارة الإسلامية حضارةَ جنس معيَّن فتكون بذلك حضارةً قوميةً تنتمي إلى قوم مخصوصين ، ولكنها حضارةٌ جامعةٌ شاملةٌ للأجناس والقوميات جميعًا ، التي كان لها نصيبُها في قيام هذه الحضارة ، ودورها في ازدهارها وتألقها ، وفي امتداد تأثيرها ونفوذها إلى العالم الذي كان معروفًا خلال القرون التي سطع فيها نجمُها واتسع إشعاعها وامتدَّ نفوذها. وتنفرد الحضارة الإسلامية بخصائصَ وسماتٍ تكسبها الطابعَ المميزَ لها بين الحضارات الإنسانية المتعاقبة في الماضي والحاضر على السواء.

ومن هذه الخصائص أنها حضارة إيمانية روحية تؤمن بالله وكلماته ورسله ، وهي حضارة عالمية متماسكة في مواجهة التحديات ، وهي حضارة معطاءة باقية ، كما أنها حضارة متوازنة ، وازنت الجانب الروحي والجانب المادي في اعتدال ، فلا تفريط ولا إفراط ولا غلو، هذه بعض سمات الحضارة الإسلامية ، وهي سمات يجب أن تسود البشرية ، لأنها في النهاية تعود للمصدر الإلهي ، وبسبب هذا المصدر ، فالحضارة الإسلامية حضارة تسامح وحرية إنسانية ومعرفة ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان ، وطلب منه طلب العلم ونشره، لأنه الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض.

المصادر والمراجع

أبو خليل، هاني المبارك وشوقي. دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية . القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية .2000 .

بريفولت . بناء الإنسانية. فصول ترجمها عن هذا الكتاب الى العربية السيد ابو النصر الحسيني تحت عنوان : اثر الثقافة الاسلامية في تكوين الانسانية. مصر: دار الكتب الحديثة.1337.

التويجري، عبدالعزيز بن عثمان. الثقافة العربية والثقافات الأخرى. القاهرة: بحث منشور في كتاب المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. 1995.

الجابري، محمد عابد. تكوين العقل العربي. القاهرة: دار الكتب الحديثة .1991.

جون برستيد. فجر الضمير . ترجمة د. سليم حسن. القاهرة .مكتبة الاسرة 1999.

الحديثة .1337.

الحسيني، أبو النصر. أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية. بمصر: دار الكتب

ديورانت، ويل. موسوعة قصة الحضارة . ترجمة محمد بدران. القاهرة: عصر الايمان .مكتبة الاسرة. 1998.

زيتون، عادل. مجلة العربي الكويتية . عدد يوليو 1987.

ستانيا، لشهر. الملل والنحل. نسخة الكترونيه.

الطباع، عمر فاروق. ابن خلدون . بيروت :دار الفكر الإسلامي .2000.

طوقان، قدري حافظ. تراث العرب العلمي. القاهرة: بدون تاريخ .

عبده، محمد . الإسلام دين العلم والمدنية . القاهرة: مكتبة الاسرة .1997.

العقاد، عباس محمود. ابن سينا الشيخ الرئيس. القاهرة: سلسلة كتاب اقرأ. 1953.

غوتاس، ديمتري .الفلاسفة الاغريق في الترجمات العربية . 2000 . نقلا عن رحيم العراقي في موقع الحوار المتدين.

محمود، د.فوقية . مقالات في اصالة المفكر المسلم. القاهرة: دار الفكر العربي .1987.

المرزوقي، أبو يعرب. تجليات الفلسفة العربية. .بيروت: دار الكتاب. 1980.